

في عالم الكتب :

حواء الخالدة

[للأستاذ محمود تيمور بك]

بقلم الأستاذ وديع فلسطين

—•••••

أفردت مجلة « الكتاب » في عدد يناير الماضي فصلاً مسهباً من التأليف التي ظهرت في عام ١٩٤٥ سردت فيه هذه الكتب بعدما بوبتها ونسقتها وفقاً لموضوعاتها . وقد استوقف نظري آنذاك أن المسرحية لم نظفر من هذا الحصاد الوافر بأكثر من أربعة كتب هي : مسرحيتان ترجمهما الأستاذ محمد عوض إبراهيم بك عن شكسبير وهما : « الليلة الثانية عشرة » و « أنطوني وكليوباترا » ومسرحية شعرية للأستاذ عامر محمد بحيري عن « خالد بن الوليد » ومسرحية ترجمتها عن الكاتب السويدي أوجست سترندبرج وهي « الأب » . ودفعني هذا إلى السؤال عن سبب تخلف الإنتاج المسرحي في مصر رغم أن المسرح أصبح من دعائم الثقافة ووسائل الترفيه ، فضلاً عن التسلية . فجاء الجواب من صديق من أصحاب دور النشر بأن المسرحيات لا تصادف إقبالاً من القراء وأنهم يصدقون عنها ويولون عنايتهم شطر الأقاصيص .

وإنه لأمر يدعو إلى العجب حقاً ، لأن المسرحية في الأدب الغربي لها مقام ممتاز ، بل إنها كثيراً ما تتقدم على القصة . وما ذلك إلا لأن المسرحيات عامة — ولا سيما الأدبية منها — تعتمد على حد كبير على جودة الحوار وقوته ، بينما الأقاصيص لا تملك مثل هذا الشأن على الحوار لأن الوصف يغلب في معظم الأحيان على عنصر الحوار فيها .

ومما يدعو إلى الدهشة كذلك أن غالبية الكتاب العظام في العالم كتبوا المسرحية أمثال شكسبير (الذي اقتصر على كتابة هذا اللون من الفن) وإبسن Ibsen وتشيكوف وجوركي وشترنر وجورج برنارد شو ، أما الأدب العربي فهو معرض عن هذا الفن لأسباب قد يكون منها المحافظة على القديم . والمعروف أن العرب الأقدمين لم يكتبوا المسرحية ، وأن الرحوم أحمد شوقي بك كان من رواد هذا الفن من الأدب بما أنتجه من مسرحياته الشعرية : « مصرع كليوباترا » و « مجنون ليلى » و « قبيز » ... الخ

لهذه الأسباب مجتمعة ، سرنا أن أقدم الأستاذ محمود تيمور بك على كتابة المسرحية الطويلة — إذا جاز أن يكون في المسرحيات طويل وقصير كالتقصص — فهو ولا شك يمهد السبيل لازدهار هذا الفن الذي لم يرتد مجاهله من كتاب الضاد سوى القليلين . وهؤلاء لم يكتبوا للأدب بقدر ما كتبوا للتسلية ، مما أفضى إلى هزال حركة التمثيل المسرحي ، لا في مصر وحدها ، بل في الشرق قاطبة .

ومسرحية « حواء الخالدة » التي نحن الآن بصدددها ، قطعة من حياة العرب ، بطلها عنتره العبيسي وعبلة بنت مالك . أحب عنتره عبلة فتدلت وتغتمت بعدما حملته المشاق والصعاب وسخرته في معابثاتها ومنازلاتها ليقتص لها أسداً ويجيء إليها بجلده ، ولما انصرف عنها أحبتة وأخذت تسمع أنباءه وانطوت على نفسها يوم أنبأها رسول كاذب أن عنتره أقي حتفه . ولكن عنتره لم يمت وعاد إلى بلده بعد غربته ، ثرياً تعلم كيف يجرد الجيوش ويستل الحسام ، وينازل الأعداء ، ويحترق الحروب . عاد وقد غادرته ليونته وطراوته وتدلله في الحب ، وأصبح رجلاً شديد المراس معتزاً بنفسه ، يأبى أن يسأل أحداً أمراً ولو كان هذا الأمر حبيباً إلى قلبه .

وكأنما أرادت عبلة أن تسخر منه ، فرضيت بالزواج من أمير ولكن عنتره بارز ذاك الأمير وبذه وسي عبلة وشدها الرجال . هذا محصل « حواء الخالدة » ، صور تيمور فيها تثنى المرأة ودلالها ، إغرائها وإقبالها ، غدرها وغيرتها ، تشقيها ومخايلتها ، حبها وبغضها ، طمعها وطموحها ، حشمتها وتبذلها . وجعل تيمور بك يوجه عنايته القصوى إلى لغة الحوار حتى إن المرء ليجتاح أحياناً إلى الرجوع إلى المعجم ليقف على معاني بعض الكلمات من أمثال : « الطباهج الرشراش » و « اللوزبنج » و « النياق المصفورية » وسواها .

ولعل المؤلف اضطر إلى الالتجاء إلى هذه الكلمات وأترابها لأنه تخير موضوعاً عربياً تدور حوادثه في بيداء العرب ، وهم حريصون على الفصاحة والناية باللغة ، لأنها تجارهم الوحيدة التي يتعاملون بها في الأسواق .

وحسبنا من المؤلف أنه ولج هذا الباب المسرحي ، وسلك هذا الطريق غير الطروق ، وأنه حاول فيه محاولة موفقة سبقها منه محاولات مماثلة . ولسنا نزم أن نيموراً بلغ في « حواء الخالدة » حد الكمال ، وإنما يمكن القول إنه يسير في هذا الاتجاه .